جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان

كلية العوم الانسانية و العلوم الاجتماعية

قسم الفلسفة

السنة الثانية ماستر فلسفة عربية اسلامية و السنة الثانية ماستر فلسفة غربية معاصرة

مقياس الفلسفة و النقد الثقافي

المحاضرة الرابعة : المعرفة والسلطة عند ميشال فوكو

إعداد وتقديم: الأستاذة الدكتورة شريقي أنيسة

1. من سيادة الدولة إلى ميكروفيزياء السلطة:

يمثل الفيلسوف الفرنسي **ميشال فوكو (Michel Foucault)** محطة انقلابية جذرية في تاريخ الفكر الفلسفي والسياسي المعاصر. فإذا كان الفلاسفة الكلاسيكيون (من هوبز وروسو إلى هيجل) قد نظروا إلى السلطة بوصفها كياناً سيادياً مركزياً مؤسسياً يمارس القمع الفوقي من خلال الدولة وقوانينها، فإن فوكو يحدث قطيعة إبستيمولوجية مع هذا التصور، معلناً أن السلطة **ليست شيئاً يمتلك، ولا مؤسسة تُحتل، ولا بنية فوقية تُفرض بالقوة المحضة؛ بل هي شبكة علاقات معقدة ومتشعبة تخترق الجسد الاجتماعي بأسره.**

تتبلور أطروحة فوكو المركزية في تجاور مفهومي **المعرفة (Savoir)** و**السلطة (Pouvoir)** في مركب واحد لا ينفصم: **(Savoir-Pouvoir)**. فليس هناك معرفة محايدة أو بريئة خارجة عن دوائر السلطة، وليس هناك ممارسة سلطوية لا تنتج وتؤسس لنظام معرفي خاص بها.

2. المفصل الإبستيمولوجي: أركولوجيا المعرفة و"نظام الخطاب"

قبل أن يغوص فوكو في تحليل آليات السلطة في مرحلته الجينية الثانية (الجبروت التحليلي)، انشغل في مرحلته الأولى (الأركيولوجية) بتحليل شروط إمكان الخطاب والمعرفة من خلال مفاهيم كبرى مثل **الأبستيم (Episteme)** و**حفريات المعرفة (Archéologie du savoir)**.

- **الخطاب كأداة للهيمنة:** الخطاب ليس مجرد انعكاس للواقع أو تعبير بريء عن الفكر، بل هو فضاء للصراع والمراقبة. إنه محكوم بـ "نظام استبعاد" يحدد ما يمكن قوله وما لا يمكن قوله، ومن يملك حق الكلام ومن يُحكم عليه بالصمت.

- **إرادة المعرفة وإرادة الحقيقة:** يوضح فوكو في دراساته أن "الحقيقة" ليست قيمة متعالية مطلقة، بل هي نتاج لشبكة من الخطابات المؤسسية التي تحظى بالقبول والشرعية في عصر تاريخي معين. فالحقيقة مدموغة بطابع السيطرة: إنها ما تنتجه السلطة لتبرير وجودها واستمراريتها.

3. تحولات السلطة: من العقاب الجسدي إلى تلطيف العقاب

في مؤلفه الرائد **"المراقبة والمعاقبة: ولادة السجن" (Surveiller et punir)**، يقدم فوكو قراءة تاريخية نقدية لتحول أشكال العقاب والسلطة بين العصر الوسيط والعصر الحديث، كاشفاً عن الانتقال من نموذج **"السلطة السيادية"** إلى نموذج **"السلطة التأديبية"**.

4. البانوبتيون (Panopticon): الهندسة المعمارية للسلطة الخفية

استعار فوكو نموذج **"البانوبتيون" (السجن الدائري)** الذي صممه الفيلسوف النفعي جيريمي بنتام، ليكون الاستعارة الكبرى للتحكم الاجتماعي في المجتمع الحديث:

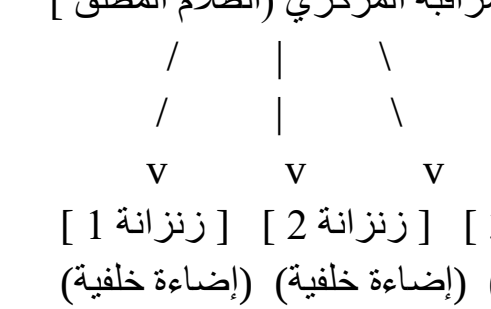

- **مبدأ الرؤية اللامتناظرة:** السجين مرئي طوال الوقت لراقبٍ يقبع في البرج المركزي المظلم، لكنه لا يستطيع أبداً أن يرى الحارس أو يعرف متى يُراقب بالضبط.
- **الاستيعاب الداخلي للسلطة:** نظراً لعدم اليقين بشأن ما إذا كان مراقباً أم لا في اللحظة الراهنة، يضطر السجين إلى مراقبة نفسه بنفسه وتطبيع سلوكه تلقائياً؛ وبذلك تتحول السلطة من قمع خارجي إلى رقابة ذاتية باطنية.

إذا كانت السلطة التقليدية تمتلك حق "الإماتة أو الترك أحياء"، فإن السلطة الحديثة تتميز بامتلاك حق **"إدارة الحياة والتحكم فيها وتحسينها"**.

- تتفرع هذه السلطة إلى مستويين متكاملين:

1. **تشريح السياسة للجسد (Anatomo-politique du corps):** تركيز التأديب على الجسد الفردي لزيادة طاقاته وفعاليته الاقتصادية ودمجه في آلات الإنتاج.
2. **بيوسياسة السكان (Biopolitique de la population):** الاهتمام بالجسم الجماعي (النوع البشري) من خلال مراقبة الظواهر الكبرى: الولادات، الوفيات، الخصوبة، الصحة العامة، الأمراض السارية، التخطيط العمراني، وتأمين الحياة الاجتماعية.

5. المقاومة كقرين للسلطة: "حيث توجد السلطة توجد المقاومة"

لا ينزلق فوكو إلى العدمية أو الحتمية الشمولية التي تصور الإنسان مجرد ترس ذابل داخل آلة السلطة المعقدة؛ بل يؤسس لمفهوم حيوي للمقاومة:

- **المقاومة متزامنة مع السلطة:** لا توجد سلطة مطلقة خالية من المقاومة، فالمقاومة هي الوجه الآخر للسلطة والظل الملازم لها.
- **خطوط الرفض والمواجهة:** تتمثل المقاومة عند فوكو في أشكال الرفض اليومي، والممارسات الذاتية لـ **"الاهتمام بالذات" (Le souci de soi)**، وتفكيك خطابات الهيمنة، وإعادة ابتكار أساليب حياة جديدة خارج قوالب التطبيع والتنميط المؤسسي.

شكلت أطروحات ميشال فوكو حول المعرفة والسلطة **ثورة إبستيمولوجية** أزاحت الأوهام الإنسانوية الكلاسيكية، كاشفة عن الوجه الخفي لمؤسسات الحداثة التي تقدم نفسها بريئة بينما تمارس أشكالاً دقيقة من الانضباط والتدجين. وتظل هذه المقولات أداة نقدية حاسمة لكل باحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية لتشريح وتفكيك أشكال الهيمنة الرمزية والمؤسسية في عالمنا المعاصر.